حاجز المهنة

٢٥/ ٢/ ١٤٣٦هـ

الانتساب إلى مهنةٍ مِن المهَن -كالطب، والهندسة، والتعليم، والزراعة، وغيرها- قديمٌ قِدَم دبيب أقدامِ البشر في الأرض.

لقد كان الغالبُ على المنتسبين لمهنَتهم الاكتفاءَ بها، والانشغالَ بتطوير ذاته، أو البقاء من رسومها على ما يحقِّق رزقًا له ولأولاده، فلما جاء الإسلامُ نقلَ أهلَه إلى فضاءٍ أرحب، وميادينَ أوسع، جعلتِ الهمّ الأكبرَ الذي يدورُ حولَه الإنسانُ هو همّ الإسلام، مهما كانت مِهَنُهم، وعلى اختلاف مستوياتهم، فلا يحجزهم عن حملِ رسالةِ الإسلام كونهم ليسوا طلاب علمٍ، بَلْه علماء بالشريعة.

بل امتد حملُ هذا الهمّ إلى مَنْ ينشغلون عادةً بخاصةِ أنفسهم، أو أناس وقعوا في بعض المعاصي، فسُجِنوا، ويحضرني هنا مثالٌ مرّ بي في ترجمة الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث يقول: ما سمعتُ كلمةً منذ وَقعتُ في الأمر الذي وقعتُ فيه؛ أقوى من كلمةِ أعرابي كلَّمني بها في رَحبة طَوق، قال لي: يا أحمد، إن يَقتلك الحقُّ متَّ شهيدًا، وإن عشتَ عشتَ حميدًا، قال: فَقوّى

قلبـــي[1]، ولما تكلّم الإمامُ أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن خوفه من فتنة الســـوط، وأنه يخاف ألا يصبر! سمعه بعضُ أهلِ الحبس، فقال: لا عليكَ يا أبا عبدالله، فما هو إلا سَـــوطان، ثـــم لا تدري أين يَقع الباقـــي! فكأنه سُرِّي عنه[2].

وتمتد هـــذه النـــماذجُ المشرقةُ إلى عصرنـــا؛ لنرى شـــبابًا أفاضل من تخصصـــات غير شرعيـــة، تمثّلوا هـــذه الحقيقـــة؛ فســـعوا إلى توظيف تخصصاتهـــم، والمهن التـــي ينتمون إليهـــا في نشر الخـــير، والدعوة إلى الله، ولســـانُ حـــالِ أحدِهم يقـــول: لعلّي أكـــون من أهل هـــذه الآية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

ومـــن الأمثلة القريبة: ما فعله بعضُ الشـــباب -في رمضان الماضي- من تســـخير موقع التواصل الاجتماعي (ســـناب شات) للتعريف بمكة المكرمة؛ من خلال حملة سُـــخّرت للنقل الحيّ لشعائر التراويح، ومشهد الطواف، وذلك ترتَّب عليه إسلامُ عددٍ ممن كان يتابع ذلك البث، ومنهم من لم يكن يعرف مكة المكرمة مِن قبْل، فقادته تلك الجموعُ التي رآها في العشر الأواخر إلى السؤال عن الإسلام؟ ولعلّهم اهتدوا بسبب ذلك.

لم يكن ذلك الشـــابُّ والفريقُ الذي معه -ممن تبنّوا الفكرة- مِن حمَلَة الشـــهادات الشرعية، بل كانوا من ذوي التخصصات التقنية، لكنه حبّ الخير، والرغبة في الدعوة إلى الله باســـتخدام هذه الوســـيلة، فلله درّهم، وبارك فيهم، وأكثر مِن أمثالهم.

---

(١) مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي (ص٤٢٢).

(٢) السابق: (ص٤٢٧).

وفي القطاع الصحي، تَقرُّ العينُ حين تَرى مَن انبرى لدعوةِ الوافدين -من مسلمين وغيرهم داخل القطاع الصحي، فهذا طبيب، وآخر صيدلي، وثالث ممرض، كلهم يتسابقون إلى التعاون مع مكاتب التوعية الدينية في المستشفيات، فنفع الله بجهودهم كثيرًا، وأنقذ اللهُ بهم فئامًا من النار.

ونجد بعضَ الموفَّقين من معلمي اللغة الإنجليزية، يبادرون قبل أن يُسْألوا، بادَروا بالتواصل مع مكاتب توعية الجاليات؛ ونُصْبُ أعينهم قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فوالله لأَنْ يُهدَى بك رجلٌ واحدٌ خيرٌ لك من حُمْرِ النَّعَم**»[1]، فيجتهدون في الدعوة، وإيصال رسالة الحق إلى من ضل عنه، وهمُّ أحدِهم: كم إنسانًا سيدخل الإسلامَ بسببي؟!

وأعرفُ أحدَ الشباب ممن يعمل في قطاع المقاولات، جعل دعوة الجاليات همّه الأكبر، فلما حمل هذا الهمّ اجتهد في اغتنام كل وسيلةٍ لدعوتهم، ويقول: أتمنى ألا أموت حتى يُسلِم على يديّ أكثر من ٣٠٠ ألف كافر، وأظن أن الذين أسلموا على يديه حتى الآن فاقوا عشرين ألفًا.

إنها دعوةٌ لكل مسلم أن يَحمل رسالةَ الإسلام ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وأن يغتنم ما يسّره اللهُ من وسائل لخدمة الدين، فإن كَسِل، فاللهَ اللهَ أن يُؤتَى الإسلام من قِبَله! ولا يكن صادًّا عنه بسوء أفعاله وتصرفاته: «**تكف شرك عن الناس، فإنها صدقة منك على نفسك**»[2]، والله يهدي مَن يشاء إلى صراطٍ مستقيمٍ.

---

(١) رواه البخاري (رقم٢٩٤٢) واللفظ له، ومسلم (رقم٢٤٠٦).

(٢) رواه البخاري (رقم٢٥١٨)، ومسلم (رقم٨٤) واللفظ لمسلم.